الفصل الأول

سانتيانا.. سيرة فيلسوف

أولًا: حيـاة سانتيانا

كيف يمكن لطفل ولد في أسبانيا من أبوين أسبانيين، أن يتعلم في بوسطن Boston ويكتب باللغة الإنجليزية[1]؟

تلك هي الإشكالية الرئيسية للدراسة في هذا الفصل، والتي عليها تكونت الآراء المختلفة تجاه الفيلسوف محل الدراسة، لذلك أخذتْ الدراسة على عاتقها البحث والتنقيب عن مضمون تلك الإشكالية والإجابة عنها.

ولد الفيلسوف الأمريكي جورج سانتيانا "George Santayana" في مدريد صباح يوم السادس عشر من ديسمبر لعام 1863 [2]، وقد تم تعميده بعد ميلاده بستة عشر يومًا في الكنيسة الكاثوليكية»سان ماركوس» San Marcos [3]. حيث ولد وحيدًا لوالده «أوغسطين سانتيانا» Augustin Santayana لكنه كان أخًا لأخوة ثلاثة من أمه، وهي أسبانية كانت قد تزوجت زوجها الأول الأمريكي «جورج ستورجيس» George Stur-

(1) George Santayana: General confession, in: the Philosophy of George Santayana, edited by, p. A. Schilpp, Tudor Publishing company, New York, 1951, p.3.

(2) George Santayana: persons and places, the Background of my life, Charles Scribner›s Sons, New York, 1944, P.1.

وانظر أيضا ـ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984، ص 581.

(3) Richard Butler: the Mind of Santayana, Routledge and Kegan Paul, London, 1965, P11.

gis وأنجبت منه هؤلاء الأطفال الثلاثة، كما وعدته قبل موته أن تنشأ أطفاله الثلاثة في وطنه أمريكا، وأرادت أن تفي بوعدها، فأخذتهم ومعهم وليدها الجديد من زوجها الثاني الأسباني[1].

سافر سانتيانا مع أمه في التاسعة من عمره إلى بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث عاشت أمه على هامش «الأرستقراطية» التجارية الأمريكية التي كان زوجها الأول ينتمي إليها[2].

ولكن على الرغم من هذه الفترة الطويلة من العمر التي قضاها سانتيانا في الولايات المتحدة الأمريكية، فإنه لم يتخلي طوال هذه المدة عن جنسيته الأسبانية، لأنه كان يشعر في قرارة نفسه بأنه أسباني الأصل، وقد استمر في الشعور بأسبانيته تلك المدينة الفاضلة، والتي أصبحت له نقطة الانطلاق التي منها رأي العالم[3]. ولكن على الرغم من اعترافه بأسبانيته في مذكراته إلا أنه بعد أن عاش فترة طويلة في الولايات المتحدة الأمريكية، جعلته يشعر بأنه أجنبي عندما عاد إلى أسبانيا مرة أخرى[4].

وهنا يصف سانتيانا هذه التحولات والتنقلات التي حدثت في حياته، فيقول «أن الحالة العامة للعائلة كانت حالة غير عادية، فلم نكن مهاجرين من قبل، كما لم يغير أحد منا وطنه أو وظيفته أو دينه، ولكن الظروف الخاصة هي التي أعطتنا هذه الخصائص الموروثة لهذا الانفصال في أماكن مختلفة من الناحية الأخلاقية والجغرافية»[5].

وعندما كان الناشئ الأسباني الصغير قد تأثر بأبيه في أسبانيا تأثرًا قويًا، وذلك قبل أن يعبر المحيط مع أمه إلى أمريكا، حيث كان الطفل الصغير ينتمي إلى طريقة والده في التفكير، فكان الوالد يصطحب ابنه الصغير ـ جورج سانتيانا ـ في معظم تنزهاته،

(1) زكي نجيب محمود: من زاوية فلسفية، دار الشروق، بيروت، 1979، ص 152.

(2) جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1987، ص 323.

(3) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, an Examination of his philosophy, Routledge- Kegan Paul, London and Boston, 1974, p. 21.

(4) Ibid: p. 21.

(5) George Santayana: General confession, op. cit, p. 3.

وهما يسيران معا على الأقدام لمسافات طويلة حتى كاد الطفل الصغير أن يتشرب وينغمس في كافة تصرفات وسلوكيات والده العجوز، فأخذ الطفل عن والده اعجابه بكفاءة العبقرية الإنجليزية، وكذلك عدم الثقة بالتصورات والأوهام، فبث فيه الأب كراهيةً نحو التفكير التأملي الشاطح، وحبًا للتفكير القائم على الوقائع المباشرة، كما بث فيه ـ في نفس الوقت الإعجاب بشعر «لوكريتوس» Lucretius، وكذلك رفض الدين باعتباره يثير في النفس مشاعر الخوف والتعجب من المجهول وإكراه الناس عن طريق الخداع[1]. حتى أنهي الأب كلامه مع ابنه بقوله[*] «يابني إنني لا أعرف ماذا أريد، ولكنني أعرف جيدا مالا أريد»[2].

وعندما ذهب سانتيانا إلى أمريكا لم يكن يعرف كلمة واحدة باللغة الإنجليزية، حيث كانت اللغة الأسبانية هي اللغة الرسمية لعائلته، على الرغم من أن أخواته الكبار من أمه قد استمروا في التحدث باللغة الإنجليزية طوال الوقت[3]. وفي وقت قصير تعلم سانتيانا التحدث باللغة الإنجليزية على يد أخته «سوزانا» Susana، حتى أصبح سانتيانا متفننًا بهذه اللغة، وساعده في ذلك أيضا أنه كان لديه آذان قوية وممتازة نحو الإصغاء والاستماع[4]. فتراه يقول مؤكدا ذلك لقد التقطت اللغة الإنجليزية عن طريق الاستماع قبل أن أعرف كيف تكتب هذه اللغة، ولذلك فأنا أدين لهذه الظروف في كوني أتحدث الإنجليزية بدون أي لهجة أجنبية أخرى سواء في المدرسة الإبتدائية أو مدرسة بوسطن اللاتينية أو كلية هارفارد بعد ذلك[5].

وعندما بلغ سانتيانا العشرين من العمر، لم ير أبيه مرة أخرى حتى زار أسبانيا عام 1883، ولكنهم كانوا يتراسلون فيما بينهم عن طريق الخطابات التي كانت تمثل بينهم حلقة الوصل، وقد كتبت هذه الخطابات باللغة الأسبانية. وتوجد مجموعة كبيرة منها الآن في مكتبة جامعة كولومبيا، وهذه الخطابات إن دلت على شيء فإنها تدل على

(1) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, P. 13.
(*) I don›t know what I want, but I know what I don't want.
(2) G. Santayana: persons and places, op. cit, P. 16.
(3) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, op. cit, p. 22.
(4) Ibid: p. 22.
(5) G. Santayana: General Confession, op. cit, P. 6.

تأثر سانتيانا إلى درجة كبيرة بأفكار أبيه، حيث نجد على سبيل المثال أن أوغسطين سانتيانا (الأب) يعبر عن رأيه تجاه الروايات الدينية عن العالم لابنه سانتيانا، بأن العقائد الدينية تؤخذ في الاعتبار على أنها نوع من الشعر، وبالطبع عندما تم تعميد سانتيانا عمّد على أنه كاثوليكي، وقد تعمدت أخته سوزانا أيضا على أنها كاثوليكية، ولكن أخته كانت كاثوليكية متحمسة مما جعلها تري أن أخيها سانتيانا يمثل واحدًا من الكاثوليك، في حين لم تر في والديها أيّ إمكانية لوصفهم بالإيمان[1].

ولذلك كانت أقوي عاطفة عند سانتيانا تجاه عائلته، هي التي يكنها لأخته سوزانا غير الشقيقة، والتي تكبره بعشر سنوات، حيث كانت سوزانا القائد لهذه العائلة على الرغم من كونها مازالت في سن المراهقة، فقد كانت كاثوليكية متعصبة مما سبب لها بعضا من التوتر في علاقتها بأخويها البروتستانت، كما أنها علمت سانتيانا طهر وبراءة الكتب الدينية، حيث رأت أن أخيها سانتيانا نما في الصغر في ظل الكاثوليكية، وذلك على الرغم من أن سانتيانا كان في بعض الأحيان يحضر بعض القداسات البروتستانتية[2].

وفي هذا المقام لابد من ذكر تلك الأحداث العصيبة التي كان لها أكبر الأثر في نظرة سانتيانا (التشاؤمية) تجاه الحياة الإنسانية وبخاصة الحياة الأمريكية منها، الأولى: هي وفاة ابن عمته «أنتونيتا» Antonita الذي كان يعيش تحت كنف والد سانتيانا في أسبانيا، حيث إن صرخات الحزن والأسي، وملامح هذا الطفل الميت الذي كان يشبه المرمر الأخضر Green Alabaster وهو ينظر إلى سانتيانا الصغير عند موته، فقد كان كما يقول سانتيانا عنه «طفلًا شديد الجمال لابد أن يعيش» too beautiful to be alive، فموت أنتونيتا جعل سانتيانا يشعر بهجر أمه له، كما جعله يشعر بنظرة تشاؤمية تجاه الحياة منذ البداية، حتى أصبحت الأشياء بعد ذلك في منتهي الصعوبة[3].

أما الواقعة الثانية: فهي أن سانتيانا أصيب بصدمة شديدة ومفجعة عندما علم أن صديقه «سانبورن» Sanborn قد أصابه مرض الجنون، وفي عام 1889 قام بقطع رقبته

(1) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, op. cit, p. 23.
(2) Ibid: p. 24.
(3) Ibid: p. 22.

في الحمام، وهنا يشير الواقع إلى أن العديد من الشباب الذين تخرجوا من جامعة هارفارد قد كانت نهايتهم مبكرة بالموت العاجل، وهذا الحدث كان يبدو لسانتيانا علامة للفشل في الحياة الأمريكية التي لا تقدم أي هدف ثقافي أو أية حساسية للشباب الأمريكان[1].

أما عن المراحل التعليمية لسانتيانا، فقد التحق في البدء بمدرسة مجانية لتعليم الأولاد الفقراء، ثم بعد ذلك التحق بمدرسة بوسطن اللاتينية، حيث قضي بها ثماني سنوات كانت من أخصب سنوات عمره المديد، كما كانت سنوات النجاح[2]، وبعدها التحق بكلية هارفارد، وبعد تخرجه من كلية هارفارد، درس في ألمانيا لمدة سنتين[3]، وفي عام 1888 عاد سانتيانا إلى جامعة هارفارد ليكمل دراساته العليا تحت إشراف «جوزايا رويس» (1855-1916) Josiah Royce وقد أكمل رسالته للدكتوراه في الموضوع الذي تبناه بحماس تحت عنوان «نسق لوتزه الفلسفي»[4]. وبعدها عين سانتيانا بالجامعة نفسها محاضرًا لمدة تسع سنوات، فأستاذًا مساعدًا لمدة تسع سنوات أخرى، فأستاذًا لكرسي الفلسفة بالجامعة بعد موت أستاذه جوزايا رويس، وظل يشغل هذا المنصب حتى غادر هارفارد سنة 1912 [5]، وكان عندئذ قد أوشك على الخمسين من العمر[6].

وهنا يصف سانتيانا تلك الحالة التعليمية التي مر بها في جامعة هارفارد، حيث رأي أن البدايات السيئة له كطالب في جامعة هارفارد قد تم اختتامها بنهاية مشرفة، فيقول عن ذلك «على الرغم من درجاتي المتوسطة في بعض المواد إلا أنني حصلت على درجة البكالوريوس والماجستير من نفس الجامعة، حيث اعتقد أساتذتي أن موهبتي التأملية وفهمي وإدراكي للفلاسفة العظام جعلني أتبوء المقام الأول في الجامعة»[7].

(1) Ibid: p. 25.
(2) Ibid: p. 25.
(3) Frederick A. Olafson: George Santayana, in: the Encyclopedia of Philosophy, Edited by, Paul Edwards, vol VII, Macmillan Reference, New York, 1996. PP, 282, 283.
(4) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, op. cit, p. 26.
(5) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, P. 19.
(6) زكي نجيب محمود: من زواية فلسفية، مرجع سابق، ص 153.
(7) G. Santayana: persons and places, op. cit, P. 253.

وعندما كان سانتيانا هو الفيلسوف الكثير التجوال والترحال، فقد كان غير راضٍ في أن يعمل في مهنة التدريس في جامعة هارفارد، فإذا كان قد أحب الدراسة لذاتها إلا أنه كره أن يكون مدرسًا[1]، فتراه يقول عن نفسه «إنه اضطر إلى مهنة التدريس لأنه لم يجد صنعة أخرى يشتغل بها»[2]. وقد كتب فيما بعد قائلاً «كنت أكره أن أكون مدرسًا»[3]. فعلي الرغم من قدرته على القراءة باللغة اللاتينية واليونانية والفرنسية والإيطالية والألمانية، إلا أنه لم يكن يتقن هذه اللغات بشكل كبير[4].

هكذا نظر سانتيانا إلى تدريسه بالجامعة كنظرته إلى الواجب الكريه، الذي لم يكن منه بد ليعيش أولًا، أو لكونه وسيلة ليدعم موقفه المالي في رحلاته الكثيرة والمتعددة إلى خارج أمريكا، كما كان يدخر بعض الأموال لكي تعينه فيما بعد على حياة العزلة وتقاعده عن التدريس الذي كان متوقعًا[5].

ولقد زار سانتيانا إنجلترا عدة مرات في عام 1896، حيث أظهر حبه وعشقه الشديد لهذه البلدة، كما كان على علاقة قوية بها، حيث كان يشعر دائما بعاطفة جياشة نحو التطورات الفلسفية هناك، فقد أقام علاقات واتصالات كثيرة مع بيرتراند رسل Bertrand Russell، حيث يبدو أن رسل هو الرجل الإنجليزي الأول الذي قابله سانتيانا عندما أرسل إلى جامعة اكسفورد، كما زار رسل الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1886، حيث زار هارفارد لبضعة أيام وقدمه أحد الأشخاص لزيارة سانتيانا، ثم كون سانتيانا عنه انطباعات من منظور أن رسل مستمع جيد، وقد استمرت صداقتهم الحميمة حتى مات سانتيانا، ولقد أظهره سانتيانا في إحدي رواياته وهي «البيوريتاني الأخير» the Last Puritan تحت اسم «جيم دارنلي» Jim Darnley وهو الاسم الحركي والمستعار للورد جيم الذي اعطاه سانتيانا إياه لصديقه رسل[6].

(1) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, P. 21.

(2) زكي نجيب محمود: فلسفة وفن، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، 1963، ص 118.

(3) هنري توماس ودانالي توماس: المفكرون ـ من سقراط إلى سارتر، ترجمة/ عثمان نويه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970، ص 473.

(4) G. Santayana: General Confession, op. cit, P. 6.

(5) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, P. 21.

(6) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, op. cit, p. 26.

كما يبدو أن سانتيانا كان على علاقة أقل سعادة مع الفيلسوف الإنجليزي جورج إدوارد مور G. E. Moore، كما استمتع أيضا بمناقشاته مع ماكتجارت Mctaggart الذي أصبح صديقا حميما له، على الرغم من كونهم فلاسفة عظام لاتجاهات فلسفية مختلفة[1].

ولم يكن سانتيانا راضيًا بتلك البلدة التي اختارها، فقد لطف العلم روحه وأرهف الشعر إحساسه، فقد كان شاعرًا وفيلسوفًا، كما عاني من صخب الحياة الأمريكية المدنية، فاتجه بالغريزة إلى بوسطن، وكأنه أراد أن يكون قريبًا من أوروبا[2]. وقد تزايد بغض وكراهية سانتيانا للحياة الأمريكية بصفة خاصة وذلك عند وفاة والدته في عام 1911 [3].

كما لم يكن سانتيانا يمارس الألعاب الرياضية التي كان يمارسها الصبية الآخرون في طفولته، وإنما كان يستمتع بمشاهدة تلك الألعاب من خلال الصفوف الجانبية، وفي ذلك يقول عن نفسه «لقد كنت الطفل الوحيد الذي لم يمارس الألعاب الرياضية، فكنت أجلس في المنزل طوال فترة النهار والمساء للقراءة أو الرسم، وبالأخص كنت منهمكًا في أي شيء أجده من كتب الدين أو الفن المعماري أو حتى كتب الجغرافيا»[4].

ولكن إن لم يكن فيلسوفنا ـ يمارس الألعاب الرياضية، فإنه كان له شغف خاص بكرة القدم، فالمباراة كانت عنده بمثابة قصيدة مليئة بالحياة، وقد كتب في هذا يقول» هنا على أرض الملعب، ذات المساند العريضة، بعيدًا عن المدينة، حيث لا يظلك إلا السماء ولا يحيط بك من بعيد إلا التلال، وحيث الرياح دائمة الهبوب، يضيف الصراع على الكرة جمالًا على جمال الطبيعة... هنا تلمع فضائل

الأبطال في صورة مصغرة وتعود إليك النشوة الساذجة التي كانت تميز العالم القديم وكأنك في حلم»[5].

(1) Ibid: p. 26.
(2) Will Durant: Outlines of Philosophy, Ernest Benn, Ltd, London, 1962, P. 418.
(3) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, op. cit, p. 27.
(4) G. Santayana: General Confession, op. cit, P. 6.
(5) هنري توماس: أعلام الفلاسفة ـ كيف نفهمهم، ترجمة / متري أمين، مراجعة وتقديم/ زكي نجيب محمود، دار النهضة العربية، القاهرة، 1964، ص 384.

وعلى النقيض من «وليم جيمس» (1842-1910) William James، الذي كان لاعبًا إيجابيًا في المباراة، كان سانتيانا يفضل أَن يبقي مشاهدًا سلبيًا، إلا أنهما اشتركا أساسًا في معتقد واحد، فعندهما أَنه من الخير أَن تمرن عضلات جسمك لتشترك في نضال مفيد للصحة لكنه شريف، وأن تطهر نوافذ روحك، لتتمكن من مشاهدة منظر شامل واضح لجهاد الحياة خلال العصور[1].

ولذلك كان سانتيانا قليل الاهتمام بما يأخذ به المجتمع من أسباب الترفيه، فلم يتزوج قط، مع أنه كان على الدوام يتحدث إلى السيدات، لكنه لم يراقصهن أبدًا، لأنه لم يكن يعرف الرقص، ويقول في ذلك « لقد كنت أحب سيدات بوسطن واستمتع بالحديث إليهن، فهن قد سافرن كثيرًا، وقرأن وتثقفن أكثر من الرجال»[2].

ويروي عنه ـ أنه ذات يوم، بينما كان في غرفة المحاضرة يلقي دروسه على طلابه، فحانت منه التفاتة إلى خارج النافذة، وأطال النظر، وكان الطقس باردًا ممطرًا، ثم استدار إلى طلابه قائلًا لهم «إنني على موعد مع الربيع»[*]. فخرج من قاعة الدرس بخطوات سريعة ولم يعد بعدها أبدًا[3]، فسافر إلى أوروبا حيث أقام حينًا في اكسفورد (وكان ذلك إبان الحرب العالمية الأولى) وحينًا أخر في روما، وبين الحينين أخذ يتنقل هنا وهناك في ربوع أوروبا[4].

ولقد قضي سانتيانا ما بقي من عمره بصفة رئيسية في الفنادق، أو في زياراته لصديقه «سترونج» Strong، أو في زياراته إلى أخته، وعند نشوب الحرب العالمية الأولى عام 1914 أجبر سانتيانا في أن يمكث في إنجلترا[5]. وفي عام 1920 بلغ سانتيانا السابعة والخمسين من عمره، واستقر حينئذ في فندق بروما حيث الجمال والطبيعة الخلابة، وكذلك الحياة الهادئة البعيدة عن الإزعاج والاضطرابات، لذلك قضي في هذا الفندق فترة طويلة مما تبقي من عمره[6].

(1) المرجع السابق: ص 385.

(2) هنري و دانالي توماس: المفكرون ـ من سقراط إلى سارتر، مرجع سابق، ص 470.

(*) I have a date with spring.

(3) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, P. 24.

(4) زكي نجيب محمود: فلسفة وفن، مرجع سابق، ص 119.

(5) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, op. cit, p. 27.

(6) Ibid: p.27.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية عام 1939 كان سانتيانا قد بلغ من العمر اثنين وسبعين عامًا، انتقل ليعيش في بيت من بيوت العجزة والمسنين، تاركا الحياة في الفنادق، وذلك لارتفاع أسعارها، كما كان في حاجة إلى من يقوم برعايته وذلك لكبر سنه[1]. وفي 14 أكتوبر 1944 انتقل سانتيانا إلى روما ليعيش داخل مصحة (عيادة) يديرها مجموعة من الرهبان الكاثوليك، حيث عاش ومات فيها بعد إحدي عشرة سنة من دخوله، ولكن الأمر العجيب هنا أن ترتيبات جنازته ودفنه كانت غير عادية، حيث إن المصحة التي كان يعيش فيها فيلسوفنا كانت تستقبل دائمًا ضيوفًا ذو مكانة عالية وقدر رفيع، من حيث الاهتمام بهم داخل بيئة معيشية مناسبة، ولكن عندما مات سانتيانا بداء السرطان في 26 سبتمبر لسنة 1952، قبيل بلوغه التاسعة والثمانين بأشهر قليلة، طلب أن يدفن في أرض غير مقدسة، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أساس تنشئة سانتيانا الطبيعية، ولكن كانت المقبرة الوحيدة غير المقدسة في ذلك الوقت هي مقبرة للمجرمين، لذلك رفضت القنصلية الأسبانية بروما أن يدفن سانتيانا في ذلك المكان بعد موته، وخصصت له القنصلية مكانًا بالأوبرا الأسبانية، حيث أنه المكان المناسب ليكون مثويً ومدفنًا للفيلسوف، وقد تحول هذا المكان بعد ذلك إلى مكان أثري وتذكاري لذلك المواطن الأسباني الباهر[2].

(1) Ibid: p. 27.

(2) Stanford Encyclopedia of Philosophy, at. http://plato.stanford.edu/entries/santayana (02/06/2008).

ثانيًا: مؤلفات سانتيانا(*)

(1) شيء مختلف تمامًا Quite Another things .(1884).

(2) قصائد أسبانية Spanish Epigrams .(1886).

(3) السوناتا (1886) «هي قصيدة قصيرة تتألف من 14 بيتًا» Sonata.

(4) نسق لوتزة الفلسفي (1889) «موضوع سانتيانا لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة» Lotze's System of Philosophy.

(5) الموقف الحالي للكنيسة الكاثوليكية الرومانية (1892).

.The Present Position of The Roman Catholic Church

(6) عند الظهيرة At Noon .(1892)

(7) سوناتات وأشعار أخرى Sonnets and other Verses .(1894).

(8) الإحساس بالجمال ـ تخطيط لنظرية في علم الجمال (1896).

.The Sense of Beauty: Being the Outlines of Aesthetic Theory

(9) الشيطان: مأساة لاهوتية Lucifer: A Theological Tragedy .(1899).

(10) تفسيرات في الشعر والدين (1900).

.Interpretation of Poetry and Religion

(*) لقد قمت بجمع هذه المؤلفات من خلال عدة مصادر، ولكن قمت بترتيبها ترتيبًا زمنيًا حسب تأليف سانتيانا لهذه الكتابات، كما أنني لم أفصل فيها بين الكتابات الأدبية، أو الشعرية والفلسفية، مؤكدًا أن سانتيانا كان يكتب الشعر بعقل الفيلسوف، كما كان يكتب الفلسفة بروح الشاعر، أما الكتابات التي جاءت بعد وفاة فيلسوفنا فهي تلك الكتابات التي قام «دانيال كوري Daniel Cory» بجمعها، بعد وفاة سانتيانا، حيث كان كوري ملازمًا لسانتيانا قبل وفاته، وهذه هي مصادر تلك الكتابات.

- Shohig Terzian: Writing of George Santayana, in The Philosophy of George Santayana, edited by, P. A. Schilpp, Tudor Publishing Company, New York, 1951, PP. 611:665.
- K. P. Skowronski; Santayana and America. Values, Liberties, Responsibility, Publishing, UK, 2007, PP. XIV: XV
- Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, PP. 233: 225.

(11) أغنية لكارمل وقصائد أخرى (1901).

.A Hermit of Carmel and Other poems

(12) ماهية علم الجمال «الأستطيقا»؟ .?What is Aesthetics (1904)

(13) حياة العقل أو «أطوار التقدم الإنساني»[1] (1905).

.The life of Reason, or the Phases of Human Progress

وينقسم إلى:

(أ) العقل في الحس المشترك Vol. I: Reason in Common Sense .(1905).

(ب) العقل في المجتمع Vol. II: Reason in Society .(1905).

(جـ) العقل في الدين Vol. III: Reason in Religion .(1905).

(د) العقل في الفن Vol. IV: Reason in Art .(1905).

(هـ) العقل في العلم Vol. V: Reason in Science .(1906)

(14) ثلاثة فلاسفة شعراء (1910) «لوكريتيوس، دانتي، جوته»

Three Philosophical poets «Lucretius, Dante, and Goethe»

(15) النسق في المحاضرات .System in Lectures (1910).

(16) مقدمة لكتاب «اسبينوزا في الأخلاق» Introduction in Spinoza (1910). Ethics.

(17) التقاليد القديمة في الفلسفة الأمريكية (1911).

The Genteel Tradition in American philosophy.

(1) Stanford Encyclopedia of Philosophy, at. http://plato.stanford.edu/entries/ santayana

حياة العقل أو أطوار التقدم الإنساني، قام سانتيانا بتأليفها في خمسة أجزاء فيما بين (1906 - 1905)، وهي تمثل في فكر سانتيانا فلسفة التاريخ بشكل تام. انظر ـ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، مرجع سابق، ص 582.

(18) نوافذ المذهب Winds of Doctrine .(1913).

(19) بعض المعاني لكلمة يكون Some Meaning of The Word is .(1915).

(20) الأثرة في الفلسفة الألمانية Egotism in German philosophy .(1916).

(21) الرؤية الفلسفية في أمريكا Philosophical Opinion in America .(1918).

(22) المعرفة الرمزية والمعرفة الحرفية (1918) «كتاب مشترك مع علم النفس». Literal and Symbolic Knowledge.

(23) ثلاثة براهين في الواقعية Three Proofs of Realism .(1920).

(24) شخصيات وآراء في الولايات المتحدة (1920).

Character and opinion in the United States.

(25) مناجيات في انجلترا والمناجيات الأخيرة (1922).

Soliloquies in England and Later Soliloquies.

(26) النزعة الشكية والإيمان الحيواني (1923).

Scepticism and Animal Faith.

(27) قصائد مختارة: للمؤلف والمراجع (1923).

Poems; Selected by Author and Revised.

(28) ما لا سبيل إلى معرفته «المجهول» The Unknowable .(1923).

(29) النزعة الطبيعية الميتافيزيقية عند جون ديوي (1925).

Dewey›s Naturalistic Metaphysics.

(30) محاورات في ليمبو Dialogues in Limbo .(1926).

(31) عوالم الوجود (في أربعة أجزاء) Realms of Being .(1927-1940).

(أ) عالم الماهية Vol. l: The Realm of Essence .(1927).

(ب) عالم المادة Vol. ll: The Realm of Matter .(1930).

(جـ) عالم الصدق Vol. lll: The Realm of Truth .(1938).

(د) عالم الروح Vol. lV: The Realm of Spirit .(1940).

(32) الأفلاطونية والحياة الروحية (1927).

.Platonism and the Spiritual Life

(33) خلاصة آرائي في الفلسفة الأمريكية المعاصرة (1930).

.A Bripf history of my opinions in contemporary

(34) التقاليد القديمة في الخليج The Genteel Tradition at Bay .(1931).

(35) بعض التحولات في الفلسفة الحديثة (1933).

.Some Turns of Thought in Modern Philosophy

(36) الدين النهائي Ultimate Religion .(1934).

(37) البيوريتاني الأخير (1936) «مذكرات في شكل رواية».

.The Last Puritan: A Memoir in The Form of A Novel

(38) كتابات متناثرة (1936) «محاضرات ومقالات ومراجعات».

Obiter Scripta; Lectures, Essays and Reviews.

(39) اعتراف عام .General Confession (1940).

(40) دفاع عن نفسي Apologia Pro Mente sua .(*) (1940).

(41) عوالم الوجود (1942) «في مجلد واحد»

Realms of Being (one Volume Edition)

(42) أشخاص وأماكن (1943) «الجزء الأول» السيرة الذاتية.

Persons and places: The Background of My Life.

(43) الفترة الوسطي (1945) «الجزء الثاني» أشخاص وأماكن.

The Middle Span: Vol. ll, Persons and Places.

(44) العالم جمهوري (1953) «الجزء الثالث» من أشخاص وأماكن.

My Host The world: Vol lll, persons and places.

(45) فكرة يسوع (السيد المسيح) في الأناجيل (1946) أو «الله في الإنسان»

The Idea of Christ in the Gospels.

(46) بعض تطورات النزعة المادية (1949).

Some Developments of materialism. «Essays»

(47) الأخلاقية والدين .«essays» Morality and Religion (1950)

(48) في الشعر والنقد «essays» Poetry and criticism (1950)

(49) السيطرة والقوة Dominations and Powers .(1951).

(50) حياة العقل (1954) ـ «نصوص مختصرة أعدها سانتيانا بمساعدة دانيال كوري قبل وفاة سانتيانا، ثم نشرها كوري بعد وفاته».

The life of Reason (shortened version prepared by Santayana and Daniel Cory).

(51) الإيمان الحيواني والحياة الروحية Animal Faith and Spiritual .(1967) .Life

(52) مولد الفكر وبحوث فلسفية أخرى[*] (1969).

.The Birth of Reason and other essays

(53) النظام الطبيعي والحرية الأخلاقية (1969).

Physical order and Moral Liberty.

(*) هناك ترجمة عربية لهذا الكتاب، قام بترجمتها لجنة من الأساتذة الجامعيين، ضمن منشورات دار الآفاق الجديدة ببيروت، وهي التي اعتمد عليها الباحث في دراسته.

ثالثًا: مصادر فلسفة سانتيانا

يعد تتبع الخلفية الفلسفية لمعرفة مصادر فلسفة سانتيانا من الأمور الشاقة والمعقدة معًا، ويرجع ذلك ـ في نظر الباحث ـ إلى عدة أسباب، يمكن إيجازها فيما يلي:

السبب الأول: يكمن في أن سانتيانا بدأ أولى كتاباته بنظم الشعر[1]، فعلي الرغم من كونه أستاذًا للفلسفة في جامعة هارفارد، إلا أنه لم يكتبْ مؤلفاته الأولى بوصفه فيلسوفًا، وإنما كشاعر، مولع ببعض صور الجمال والحكمة[2]. والدليل على ذلك كما يقول سانتيانا أنه بدأ كتابة الشعر في سن الخامسة عشر أو السادسة عشر أي قبل فوزه بالجائزة الشعرية للقصيدة[3]. حيث أكد سانتيانا على ذلك بقوله «أما عن تذوق الشعر فقد تلقيته من استاذ انجليزي عظيم وجميل في فكره، هو السيد بيرون جروتشه» Mr. Byron Groce حيث غرس في عقلي هذه التأثيرات الدقيقة في طفولتي، وقد امتدت هذه المؤثرات إلى العائلة[4].

وبعد ذلك وفي متوسط هذا العمر كتب سانتيانا أولى قصائده، وفاز بجائزة شعرية عن قصيدة كتبها تمتليء بالعواطف البيرونية الجياشة، فضلًا عن عبارات التشاؤم والأسي، كما احتوت القصيدة على وصف فضل الليل على النهار[5]. حيث قام سانتيانا حينها بترجمة القول المأثور عن «يوريبيديس» Euripides في عبارته الشعرية «إنه ليس من الحكمة أن تكون فقط حكيمًا» فكما يقول سانتيانا أن هذه المقولة الشعرية أعطتني جملة المشاعر والأحاسيس بل أعطتني الموسيقي الشعرية التي بنيت عليها القصيدة المكونة من أربعة عشر بيتا[6].

لذلك نجد الروح الشعرية قد اختلطت بالأفكار الفلسفية في معظم كتابات سانتيانا، لذا كان حقًا علينا أن ندعوه بالشاعر الفيلسوف أو كما قال عنه ا. وولف ـ

(1) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, P. 133.

(2) جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص 323.

(3) G. Santayana: persons and places, op. cit, p. 17.

(4) G. Santayana: General Confession, op. cit, P. 6.

(5) Richard Butter; the Mind of Santayana, op. cit, pp. 15: 16.

(6) G. Santayana: persons and places, op. cit, p. 241.

أن سانتيانا هو أكبر شاعر فيلسوف تفخر به أمريكا اليوم، وفلسفته هي فلسفة الشعر والجمال والدين[1].

السبب الثاني: ويكمن في كون فلسفة سانتيانا تضرب بجذورها في الماضي البعيد وأعني به ـ الحضارات الشرقية القديمة، وبخاصة الفلسفة الهندية عند بوذا حيث يرى «جي. جي. كلارك» ـ أنَّ الفيلسوف الأمريكي جورج سانتيانا قد أعطي للفلسفة الهندية كثيرًا من الاهتمام، ومن ثم كان «أهم متلقٍ أصيل لجمّاع الفلسفة الهندية»[2]. وبخاصة في فلسفة سانتيانا الأخلاقية.

ويتمثل الأثر الرئيسي في اهتمام سانتيانا بالفلسفة الهندية والبوذية في اهتمامه بفلسفة «الفينداتا الهندية» ـ حيث تهيأت له الفرصة ليؤسس نقطة ارتكاز مرجعية خارج الفلسفة الغربية، ويستعين بها ليوضح آراءه في الميتافيزقيا، وبدت الفلسفة البوذية واضحة بخاصة في كتابات سانتيانا عن الأخلاق[*]، حيث أراد أن يُنشيءَ «أخلاقًا ما بعد العقلانية» Post – Rational Morality. والتي كشفت عن نواقص النزعة الأنانية، وأكدت بدلًا من ذلك على قيم التوازن الباطني والتعاطف مع الآخرين[4]. ولم يقتصر الأمر عند الحضارات الشرقية القديمة فقط، بل امتد التأصيل إلى داخل الفلسفة اليونانية، حيث صنع سانتيانا لنفسه بشكل فلسفي ونقدي الرؤية الخاصة في الحياة على طريقة كل من أرسطو والتقاليد اليونانية القديمة، وذلك من أجل فهم وإدراك الحياة على أساس من التقدير والتقييم العقلاني للقيم بوجه عام[5].

ويرى الباحث أن هذا إن دل على شيء فإنه يدل على أصالة الفكر الهندي القديم،

(1) ا. وولف: فلسفة المحدثين والمعاصرين، ترجمة/ أبو العلا عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936، ص 222.

(2) جي. جي. كلارك: التنوير الآتي من الشرق، ترجمة / شوقي جلال، سلسة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 346،2007، ص 187.

(*) هناك بحث قام به «جون ماغنوس» ـ حاول فيه إيضاح أثر الفلسفة البوذية الهندية على فلسفة سانتيانا الأخلاقية ـ انظر بالتفصيل ـ

John Magnus Michelsen: The Place of Buddhism in Santayana›s Moral Philosophy, at,http://ccbs.ntu.edu.tw/FULLTEXT/JR-ADM/magnus.htm

(4) جي. جي. كلارك: التنوير الآتي من الشرق، مرجع سابق، ص 188.

(5) Guy. W. Stroch: American Philosophy from Edwards to Dewey, an Introduction, van Nostrand Reinhold Company, New York, 1968, P. 191.

بل يدل على أن الأساس الذي نبعت منه القيم الغربية بوجه عام، والقيم الأخلاقية بوجه خاص هو الأفكار الشرقية القديمة، وهذا ما أكدت عليه فلسفة سانتيانا، كما أكد سانتيانا على نظرية هامة جدا وذلك بوصفه فيلسوفًا غربيًا ألا وهي تهافت نظرية المعجزة اليونانية أمام الأفكار الشرقية القديمة، حيث أنه إذا كان هناك تأصيل لفلسفة سانتيانا لدي اليونان، فإن هذا التأصيل قد اقتصر على فلسفة كل من أفلاطون وأرسطو في القيم، وفلسفة ديمقريطس الطبيعية ولم يتدرج إلى الفلسفة اليونانية بوجه عام.

ومن جانب آخر ـ قام أحد الباحثين ويدعي «سوليفان» Celestine J. Sullivan ببحث ليعرض فيه «ميراث سانتيانا الفلسفي» Santayana's Philosophical Inheritance. فقام فيه بعرض جميع المصادر الأساسية التي استقي منها سانتيانا ـ فلسفته، ورأي سوليفان ـ أن فلسفة سانتيانا تنبع من المثالية اليونانية، والمادية، والنزعة الشكية، أما النزعة الروحانية فقد جاءت إلى سانتيانا من فلاسفة القرون الوسطي والأفلاطونية المحدثة وكذلك الفلسفة الهندية، وعليها كما يقول سوليفان تبدو فلسفة سانتيانا حافلة بالتقليد كفلسفة جون ديوي (1859-1952) John Dewey ـ في التعبير عن المزاج المعاصر[1]. في حين أن سانتيانا لا يوافق أن تكون معظم فلسفته حافلة بالتقليد، أو المؤثرات اليونانية، أو غيرها من المؤثرات التي ذكرها سوليفان، فقد أكد سانتيانا على ذلك بقوله «إن فلسفتي ربما ينظر إليها على أنها من صنع هذه التقاليد المختلطة والمتنوعة، أو على أساس أنها عبارة عن محاولة للنظر في التقاليد المختلفة من حيث وجود هذه الحريات المتعددة بشكل عادل ومفهوم. فأنا لا أؤكد أن ذلك هو أصل وأساس نسقي الفلسفي، فعلي كل حال فإن صدق هذه القضية ربما يكوّن سؤالًا آخر، وهو إلى أي مدي كانت فلسفتي بعيدةً عن تلك المؤثرات؟ وما الكيفية التي كنت أحيا من خلالها»[2].

وهنا يشير سانتيانا إلى حقيقة هامة، وهي الحقيقة العظمي التي تأثر بها سانتيانا في فلسفته بوجه عام، وكانت بالنسبه له شعاع الضوء الذي به رأي العالم، وهي ذلك الأثر العميق الذي خلفه والده له وهو إيمانه بالاتجاه المادي والشعر ورفض الدين عن طريق

(1) Celestine J. Sullivan: Santayana›s Philosophical Inheritance, in: The Philosophy of George Santayana, edited by, P.A. Schilpp, Tudor Publishing Company, New York, 1951, P. 65.
(2) G. Santayana: General Confession, op. cit, P. 3.

استخدام الشك في التفكير، فيقول سانتيانا عنه «لقد درس والدي الدولة والقوميات، وكتب كتابا صغيرا عن جزيرة ميندانو Mindanao كما أبحر وطاف حول العالم ثلاث مرات في سفن الإبحار التي كانت موجودة في هذا الوقت، وقد زار عن طريق الصدفة إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية، وتأثر كثيرا بالطاقة الهندسية والتقدم العلمي الذي كان منتشرا في تلك البلدان، ولكن شغفه وحبه العميق كان لروعة الإتجاه المادي، ومع ذلك كان لديه عقل شاك ومتقلب تجاه رؤيته وتمييزه للأشياء»[1].

وبعد أن صرح ـ سوليفان بتلك العناصر الجمة التي كانت سببًا في تكوين فلسفة سانتيانا جاء ليوضح في بحثه المذكور سالفًا ـ أن ذكر هذه العناصر ليس انتقادًا لأصالة فلسفة سانتيانا، وإنما أراد منها تقديم بعض العناصر التي ساهمت في تكوين فكر سانتيانا التقليدي، وذلك لتذكير القارئ كيف عالج سانتيانا هذه الاشكاليات، وما الذي أخذه من سابقيه، وما الذي قام برفضه، وكيف جمعهم سانتيانا سويًا في فلسفته الخاصة[2]. كما أكد سوليفان ـ بعد ذلك على أن العناصر الرئيسية التي شكلت فكر سانتيانا الفلسفي هي ثلاثة ـ الأفلاطونية اليونانية، والنزعة المادية، والنزعة الشكية[3].

وعندما تحدث سانتيانا عن تفضيله للفلاسفة اليونانيين أشار إلى الفلسفة الطبيعية عند ديمقريطس، وفلسفة أفلاطون الأخلاقية، وأقر سانتيانا بأنه يدين إليهم بالفضل في تشكيل فلسفته الخاصة[4]. كما صرح سانتيانا بأن المدافعين عن الحياة والطبيعة هم الفلاسفة الأوائل (الهنود Indians وفلاسفة اليونان الطبيعيين معًا) وقد كانت أفكارهم أكثر وضوحًا عند اسبينوزا في قضيته الرئيسية الخاصة بالعلاقة بين الإنسان وروحه والكون[5]. كما أعجب سانتيانا بفلسفة ديفيد هيوم مما دعا «بالمر» Palmer (أحد أساتذة سانتيانا في هارفارد) أن يقول[*] عن سانتيانا أنه يحتفظ بهيوم داخل عظامه[6].

(1) Ibid: P. 4.
(2) Celestine J. Sullivan: Santayana›s Philosophical Inheritance, op. cit, P.66.
(3) Ibid: P. 66.
(4) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, p. 36.
(5) Ibid: P. 38.
(*) I had Hume in my bones.
(6) G. Santayana: persons and places, op. cit, p. 248.

أما هربرت سبنسر Herbert Spencer فيقول عنه سانتيانا أنه لم أتعلم منه أي شيء، ولكنني وافقته في نزعته الطبيعية أو المادية، وذلك لأننا بدأنا معًا بالافتراض الأدني للإدراك والفعل، حيث قد اتفقت مع وليم جيمس في نظرية سبنسر عن التطور والتي هي عبارة عن مجموعة من الكلمات أو عبارة عن تعميمات متباعدة من حيث إن بعض الأشياء ربما في وقت ما قد تقدم وتفترض لنا[1].

أما هنري توماس ـ فيري أن فلسفة سانتيانا تكشف عن مزيج عجيب من الأفلاطونية، والإلحاد، والكاثوليكية، ومن العجيب أنه يدمج خيوط فكرة الثلاثة هذه ـ والتي يبدو أنه لا يمكن التوفيق بينهما ـ في نسيج واحد متماسك من الحكمة[2].

السبب الثالث: يبدو في تلك الفترة الوسطي التي قضاها سانتيانا دارسًا ومدرسًا في أمريكا، حيث ظل سانتيانا في أمريكا أربعين سنة من الطفولة حتى بلوغه متوسط العمر، تعلم هناك فيما بين رياض الأطفال والمدارس العامة، والتحق فيها بالكلية والجامعة، كما كتب فيها أحد عشر من كتبه، واكتسب سانتيانا قوة كمعلم للفلسفة حتى بلغ الخمسين من العمر، وفيها تقاعد عن التعليم في يناير 1912، وترك شواطئ أمريكا ولم يعد إليها مرة أخرى[3].

وقد بدأت الخلفية الفلسفية لسانتيانا تتكون في تلك الفترة، حيث درس في هارفارد على يد جيمس فلسفة «تين»[*] Taine خاصة كتابه في الذكاء، ونظريات

(1) Ibid: P. 242.

(2) هنري توماس: أعلام الفلاسفة ـ كيف نفهمهم، مرجع سابق، ص 387.

(3) Baker Brownell: Santayana, the Man and the Philosopher, in the Philosophy of George Santayana, edited by, P. A. schilpp, Tudor Publishing company, New York, 1951, P. 51.

(*) فيلسوف فرنسي، ومؤرخ للأدب والفن. ولد في مدينة فوزييه Vouziers (في أقليم الأردن Ardennes بشمال شرق فرنسا) في 21 أبريل سنة 1828، وتوفي في لاريس في 5 مارس سنة 1893. واتسع ميدان نشاطه في التأليف: فأصدر في سنة 1853 كتابا عن: «لافوتين وخرافاته» وفي سنة 1856 كتابا عن «تيتوس لفيوس المؤرخ الروماني الكبير» وفي عام 1864 أصدر كتاب «تاريخ الأدب الانجليزي» (في 3 أجزاء) وبذلك استقرت مكانته مؤرخا للأدب وصاحب نظرية في تفسير الإنتاج الأدبي مفادها أن الأدب حاصل عوامل ثلاثة: الجنس، والوسط، واللحظة. أما في الفلسفة فله أولا كتاب «الفلاسفة الفرنسيون في القرن التاسع عشر» سنة 1857، ثم كتابه الرئيسي في الفلسفة ألا وهو «في العقل» سنة 1870.
انظر ـ عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، مرجع سابق، ص 432.

كل من «لوك» و«باركلي» و«هيوم» و«سبنسر» كما قرأ عليهم جيمس مخطوط كتابه «مبادئ علم النفس» Principles of Psychology ـ ويقول سانتيانا عن براجماتية «جيمس» إنني لم استطع قبول حديث جيمس عن الصدق، حيث كانت براجماتيته مجرد نزعة تجريبية خالصة، وعلى الرغم من ذلك هزت العالم بأجمعه، وذلك على الرغم من أنه يقول عن جيمس أن ما تعلمته منه ربما كان أشياء لم يعلّمْها جيمس لأحد، ولكنني استوعبتها مما كنت أنهله من روحه، وطريقته التي كان يعلم بها[1].

أما عن رويس، فإن سانتيانا يقول عنه أنه كان يتمتع بعقلية علمية قوية، لذلك كان مفيدًا بصفه دائمة في أفكاره، إن لم يكن لطيفًا للاستماع إليه، والسبب في ذلك ـ كما يرى سانتيانا هو أسلوب رويس الثقيل الجامد والتكراري، وكذلك انشغاله الرتيب بنظامه الخاص الذي لا يطاق، وذلك مما يجعل تأثير جيمس يبدو أقوي على سانتيانا الطالب والفيلسوف من تأثير جوزايا رويس[2]. وعلى كلٍ فإن دراسات سانتيانا كانت متمركزة حول الفلسفة كما يرى اسبريج، وقد كانت فلسفة اسبينوزا الأخلاقية هي الفلسفة المفضلة إليه، كما كان الأستاذان الذين قاموا بعنايته هما جوزايا رويس ووليم جيمس، ولكن لم يشعر سانتيانا بأية عاطفة نحو فلسفة كل من هذين الأستاذين، ولكن بواسطتهم قد بدا أنه تأثر بهما تأثرًا ملحوظًا[3].

وفي اعتراف سانتيانا بفضل وليم جيمس في تكوين عقليته الفلسفية والفكرية ـ يقول عنه «إن ما تعلمته من جيمس ربما كان تلك الأشياء التي لم يعلمها جيمس لأحد، ولكنني شربت منه تلك الروح الفكرية، كما استوعبت تلك الخلفية التي كان يعلم بها طلابه ومريديه»[4].

وعلى ذلك يمكن القول ـ أن سانتيانا كوَّن مع أستاذيه وليم جيمس وجوزايا رويس

(1) ت. ل. س. سبيريدج: الصورة المميزة في الفلسفة الأمريكية، بحث منشور في كتاب ـ تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال 200 عام، إعداد/ بيتر كاز، ترجمة/ حسني نصار، مراجعة مراد وهبه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1983م، ص 402.

(2) Richard Butler: the Mind of Santayana, op. cit, P. 30.

(3) Timothy L. S. Sprigge: Santayana, op. cit, p.26.

(4) G. Santayana: General Confession, op. cit, P. 15.

ـ في أمريكا نوعًا من وحدة التأصيل التي تشير إلى ملحمة رائعة، لا في تاريخ الفلسفة الأمريكية فقط، بل في تاريخ الفلسفة الغربية أيضًا، هؤلاء هم فلاسفة هارفارد، الذين ظهروا في عصر تميز باضطراب التطور هم وليم جيمس، وجوزايا رويس، وجورج سانتيانا[1].

تلك هي أهم المصادر الرئيسية التي كان سانتيانا يدين لها بالفضل في أفكاره الفلسفية، أخذًا عن والديه الفكر المادي والعقيدة الكاثوليكية التي من صنع الخيال، ومن فلاسفة الهند واسبينوزا الفكرة الأخلاقية، أما فلاسفة اليونان فهم المصدر الرئيسي لفكر سانتيانا، وبخاصة ديمقريطس وأفلاطون وأرسطو، وكذلك الفكر الشرقي القديم، كما كانوا المصدر الرئيسي لكل فلاسفة المغرب والمشرق على السواء، أما جيمس ورويس فهما الأستاذان الفاضلان الذين أخذ عنهما سانتيانا أصول فكره الرئيسية في أمريكا بل وأوروبا أيضًا.

(1) ت.ل.س. سبيريدج: الصورة المميزة في الفلسفة الأمريكية، مرجع سابق، ص 393.